مجـلـة الـتــربـوي Journal of Educational	معامل التأثير العربي 2.23 لسنة 2025 العدد 28 ــ يناير 2026

مجلة التربوي

مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية التربية الخمس

جامعة المرقب

العدد الثامن والعشرون (28)

يناير 2026م

هيئة التحرير

د.علي سالم ابشيش	رئيس هيئة التحرير
د.سالم حسين المدهون	عضو هيئة التحرير
د.آمنة منصور هندر	عضو هيئة التحرير
د.عطية رمضان الكيلاني	عضو هيئة التحرير
د.إسماعيل ميلاد اشميلة	عضو هيئة التحرير
أ.سعاد معمر بالحاج	عضو هيئة التحرير

- المجلة ترحب بما يرد عليها من أبحاث وعلى استعداد لنشرها بعد التحكيم .
- المجلة تحترم كل الاحترام آراء المحكمين وتعمل بمقتضاها .
- كافة الآراء والأفكار المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تتحمل المجلة تبعاتها .
- يتحمل الباحث مسؤولية الأمانة العلمية وهو المسؤول عما ينشر له .
- البحوث المقدمة للنشر لا ترد لأصحابها نشرت أو لم تنشر .

(جميع الحقوق محفوظة لكلية التربية الخمس – جامعة المرقب)

مجلة التربوي
Journal of Educational
معامل التأثير العربي 2.23 لسنة 2025
العدد 28 – يناير 2026

ضوابط النشر:

يشترط في البحوث العلمية المقدمة للنشر أن يراعى فيها ما يأتي :

- أصول البحث العلمي وقواعده .
- ألا تكون المادة العلمية قد سبق نشرها أو كانت جزءا من رسالة علمية .
- يرفق بالبحث تزكية لغوية وفق أنموذج معد .
- تعدل البحوث المقبولة وتصحح وفق ما يراه المحكمون .
- التزام الباحث بالضوابط التي وضعتها المجلة من عدد الصفحات ، ونوع الخط ورقمه ، والفترات الزمنية الممنوحة للتعديل ، وما يستجد من ضوابط تضعها المجلة مستقبلا .

تنبيهات :

- للمجلة الحق في تعديل البحث أو طلب تعديله أو رفضه .
- يخضع البحث في النشر لأولويات المجلة وسياستها .
- البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ، ولا تعبر عن وجهة نظر المجلة .

Publication Guidelines:

Research papers submitted for publication must adhere to the following:

- The principles and rules of scientific research.
- The material must not have been previously published or be part of an academic thesis.
- The research must be accompanied by a linguistic endorsement according to a prepared template.
- Accepted research will be edited and corrected according to the reviewers' opinions.
- The researcher must comply with the journal's guidelines regarding the number of pages, font type and size, time periods granted for modifications, and any future guidelines established by the journal.

Notices:

- The journal reserves the right to edit the research, request modifications, or reject it.
- The publication of research is subject to the journal's priorities and policies.
- Published research reflects the views of the authors and does not represent the views of the journal.

مجلة التربوي
Journal of Educational
معامل التأثير العربي 2.23 لسنة 2025
العدد 28 ــ يناير 2026

مذهب المنفعة العامة عند جيرمي بنتام

عبدالمنعم امحمد [1] ، نورالدين سالم قريبع [2]
قسم الفلسفة – كلية الآداب السواني – جامعة طرابلس [1]
قسم الفلسفة وعلم الاجتماع – كلية التربية الخمس – جامعة المرقب [2]
a.idheebat@uot.edu.ly [1]
n.s.guraiba@.elmergib.edu.ly [2]

الملخص:

فيتناول موضوع هذا البحث مذهب المنفعة العامة عند " جيرمي بنتام " ، الذي يعد أبرز رواد هذا الاتجاه، فلقد عرضنا في مقدمة البحث عرض مختصر للبدايات الأولي لظهور مذهب المنفعة العامة علي يد الفيلسوف الإنجليزي فرنسيس بيكون، وتناولنا أيضاً الفكرة الأساسية لمذهب المنفعة العامة، غير أن تركيزنا سوف يقتصر علي الفيلسوف جيرمي بنتام باعتباره محور هذا البحث.

كما تناولنا في هذا البحث المصادر الأولي التي استندا إليها جيرمي بنتام في تأسيسه لمذهبه، وكذلك أهم اسهامات جيرمي بنتام في مذهب المنفعة العامة، لما له من أهمية بالغة في تأسيس هذا المذهب مع غيره من أنصار مذهب المنفعة العامة.

وعليه فإن هذا البحث سوف يجيب عن العديد من التساؤلات لعل من أهمها ما هي مصادر مذهب المنفعة عند بنتام، وما هي الاسهامات التي قدمها لهذا المذهب، وكيف وفق بنتام بين صالح الفرد والمجموع، وبالإضافة إلى الاسس التي تقوم عليها نظريته الأخلاقية، تلك التساؤلات وغيرها سوف تكون محور بحثنا المتواضع.

الكلمات المفتتاحية: المنفعة ، العامة ، السعادة ، بنتام ، اللذة ، الألم ، الاخلاق.

Abstract

The subject of this research examines the doctrine of utilitarianism as articulated by Jeremy Bentham, who is considered the most prominent pioneer of this school of thought. In the introduction, we presented a brief overview of the early beginnings of utilitarianism's emergence at the hands of the English philosopher Francis Bacon, and we also addressed the fundamental idea of utilitarianism. However, our focus will be limited to the philosopher Jeremy Bentham as the central figure of this research.

This research also explores the primary sources upon which Jeremy Bentham relied in establishing his doctrine, as well as the most significant contributions of Jeremy Bentham to utilitarianism, given his crucial importance in founding this school of thought along with other advocates of utilitarianism.

Accordingly, this research will answer several questions, the most important of which are: What are the sources of Bentham's doctrine of utility? What are the contributions he made to this doctrine? How did Bentham reconcile the interests of the individual and the collective? In addition to the foundations upon which his ethical theory is based. These questions and others will be the focus of our modest research.

Keywords: Utility, General, Happiness, Bentham, Pleasure, Pain, Ethics.

المقدمة:

لقد ظهر المذهب النفعي أول ما ظهر في الفلسفة الإنجليزية، وأول واضع الأساس هذا المذهب فرانسيس بيكون الذي جعل الخير العام غاية أفعال الناس كلها. ومنذ زمن بيكون سار مذهب المنفعة بخطوات متئدة لا يختلف إلا في نزعته التي كانت فردية أحيانا، وجمعية أحيانا أخرى. وكان من أكبر المدافعين عنه توماس هوبز وجون لوك وآخرون، ثم انتصر له في العصر الأخير جيرمي بنتام، ودافع عنه في شيء من التفصيل دفاعا حارا جون ستيوارت مل (في كتابه مذهب المنفعة) سنة 1863.

والفكرة الأساسية في مذهب المنفعة هي أن المنفعة أو السعادة يجب أن تكون الغاية من كل سلوك خلقي. غير أن المنفعة لما كانت أمرا نسبيا، ولما كان لا يعرف بالضبط لم كان النافع نافعا، تحول مذهب المنفعة إلى مذهب في السعادة؛ وعرفت المنفعة بأنها السعادة لما بين فكرة المنفعة وفكرة اللذة والبعد عن الألم من صلة وثيقة. فالنافع في عرفهم هو الذي يحقق لذة من اللذات أو يبعد ألما. أو بعبارة أقصر هو الذي يحقق ضربا من ضروب السعادة. ولذا سهل عليهم أن يحولوا عبارتهم المشهورة (اعمل لتحقيق أعظم خير لأكبر عدد ممكن إلى قولهم (اعمل لتحقيق أعظم سعادة لأكبر عدد ممكن وبهذه الطريقة وحدها تمكنوا من التحرر من تلك الاصطلاحات الأخلاقية الغامضة التي كان يستلزمها الأخذ بمبدأ النفعية البسيط فإنا لا نشك في أن كثيرا من الأمور نافعة مع أنها لا تجلب للناس شيئا من السعادة، مثال ذلك المخترعات الميكانيكية العديدة، وبعض طرق المواصلات الحديثة وبعض أنواع التقسيم في العمل

يلتقي النفعيون عند القول بأن المنفعة أو اللذة أو السعادة هي وحدها الخير الأقصى أي المرغوب فيه لذاته دون نتائجه، والضرر أو الألم وحده هو الشر الأقصى، وينشأ عن هذا أن الأفعال الإنسانية لا تكون خيرا إلا متى حققت، أو توقع صاحبها من ورائها نفعا، فإن أدت إلى ضرر أو عاقت نفعا كانت شرا، بهذا توقفت الأخلاقية على نتائج الأفعال وآثارها، وأصبحت المنفعة مقياس الخيرية ومعيار التقييم

وقد تمثلت النزعة الحسية عند بنتام ونفعيته التي سادت تفكيره، في الإعجاب بالعلوم التجريبية ودقتها ، وبدأ كلفه وحرصه عليها في الموضوعات التي يتوخى بحثها ، والمناهج التي يصطنعها لدراستها ، وفي مذهبه النفعي أصدق مثال يشهد بنزعته الحسية ، لم يعالج الأخلاق كما تعالج العلوم الصورية – على نحو ما فعل الحدسيون والعقليون من الأخلاقيين ، وإنما حاول أن يدرسها كما تدرس العلوم الطبيعية التي تمتاز بالدقة والضبط الذي تكفله لها مناهج الاستقراء ومقاييسها ، ولم يتطلع إلى تصوير مثل إنساني أعلى ، بل هاجم مسايرة الأخلاق التقليدية ، وحاول وضع علم رياضي لقياس اللذات ووزن الآلام التماسا للدقة والضبط ، وتمشيا مع نزعته الحسية سوى بين أنواع اللذات ورفض أن يفرق بينها كثيفا ... إلى آخر ما سنراه مما يشهد بنزعته الحسية

ومن ثم أراد بنتام أن يحول الدراسات الأخلاقية إلى علم واقعي يمتاز بالدقة والضبط فأقامه على أسس سيكولوجية اعتقادا منه بأن حياة الإنسان تخضع لسيطرة دوافع نفسية تتمثل في وجدنا اللذة والألم ، وحال تمسكه بنزعته الواقعية الحسية دون تجاوز الواقع إلى تصوير مثال أعلى يوجب إخضاع السلوك لمقتضياته ، من أجل هذا قصر مهمة البحث الخلقي على دراسة المجتمع دراسة وصفية تصطنع فيها مناهج البحث العلمي ، استنادا إلى أن المجتمع قد وجد ونبتت فيه قواعد الأخلاق قبل أن يوجد فلاسفة الأخلاق ، فحسب عالم الأخلاق أن يلاحظ هذا المجتمع كما يبدو في الواقع وأن يرصد نشاطه ليستخلص قوانينه ، مقتديا في هذا بالعالم الطبيعي الذي ينقع بوصف الظواهر التي يدرسها وتقرير حالتها واستخلاص قوانين تفسيرها ، وكان العلم الطبيعي في عصر بنتام في بدء شبابه، إذ عرف أساس المنهج التجريبي في مطلع القرن السابع عشر عند بيكون وجاء نيتون في القرن التالي فكان بحق أول من ميز بين نتائج العلم الواقعي ونتائج البحث الفلسفي، فتطلع بنتام في القرن التالي إلى وضع الأخلاق علما واقعيا وضعيا ، وأنشأ علم حساب اللذات والمنافع مؤملا أن يستكمل به علم الإنسان.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على القيم الخلقية عند جيرمي بنتام باعتباره أحد رواد مذهب المنفعة العامة، لمعرفة المعايير التي وضعها من أجل تحقيق السعادة لأكبر قدر من الأفراد، لأن غاية السعادة عنده هي تحقيق السعادة لأكبر قدر بحسب مقولته الشهيرة.

المنهج المستخدم: يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي النقدي، الذي يهدف الى تحليل الآراء والأفكار والنصوص التي طرحها بنتام حول موضوع القيم الأخلاقية التي تحقق السعادة، وكذلك توجيه النقدي لتلك الأفكار من حيث مدى فعليتها في تحقيق السعادة التي هي غاية كل أنسان .

أولاَ. مصادر مذهب بنتام :

يرى بعض مؤرخي بنتام أنه بدأ حياته العقلية بمجموعة قليلة من الأفكار ، أخذ أغلبها من دافيد هيوم وبعضها من هلفتيوس و بيكاريا و بريستلي ، فقد زار بنتام الجامعة التي تخرج فيها اسكفورد ليصوت في انتخاباتها النيابية ، فوجد في مكتبته على كتب من كليته نسخة من كتيب وضعه في ذلك الوقت بريستلي تحت عنوان مقال عن الحكومة ، وفي هذا الكتيب وجد بنتام العبارة السحرية أعظم قسط من السعادة لأكبر عدد من الناس ويسجل بنتام هذا الحادث الخطير في حياته بقوله: (إنه بهذا الكتيب ، وبهذه العبارة التي تضمنها ، تحددت مبادئ في الأخلاق – خاصة وعامة – من هذا الكتيب بل من تلك الصفحة أخذت هذه العبارة لفظا ومعنى ، وهي العبارة التي غزت أنحاء العالم المتمدين هذا ما يقوله بنتام ، ولكن مؤرخيه من أمثال السير لسلى ستيفن وهاليفى و مونتاج متفقون على أن بنتام وجد هذه العبارة عند بريستلي ولكنها ليست من وضعه ،

إن واضعها الحقيقي هو فرنسيس هاتشيسون (الطويل 1953 ص92-93)

كما أن بنتام يعترف بفضل دافيد هيوم فيصرح بأن قراءته لكتاب بحث في الطبيعة البشرية نبهته إلى ما لفكرة المنفعة في السلوك الإنساني من خطر، وأزالت عن عينيه غشاوة طالما حجبت عنها هذه الحقيقة، وكان فضله بعد هذا في التمسك بالفكرة وجعلها أساس تفكيره وقوام مذهبه (زقزوق 1973 ص58)

كما أعجب بنتام بنظرة هوبز إلى طبيعة الإنسان ، فقد صورها كما بدت في حالتها الفطرية الأولى قبل أن تخضع لقانون ، وسار في مذهبه الواقعي من الإنسان الذي يعمل بوحي من فطرته ، إلى الإنسان الذي يسير بمقتضى قانوني ، إن الإنسان عنده شرير بفطرته ، وليس خيرا بطبيعته كما ذهب روسو بعد ذلك ، وما كان لمشرع مختص في العقوبات – مثل (بنتام) أن يعتقد أن الناس بفطرتهم كرام أخيار، فإن ميزة الأخلاق تقوم في قدرتها على أن ترد إلى حظيرتها قوما ما كانوا ليرتدوا إليها بغير الأخلاق ، والاعتقاد بهذا يستلزم أن

تفترض مقدما بديهية تقرر فيها أن الناس بطبيعتهم أنانيون – وهذا ما فعله بنتام ، فجاء مذهبه واقعيا يعبر عن أخلاق السوقة والدهماء (الطويل 1953 ص94).

ثانياً: – إسهام بنتام في مذهب المنفعة:

أ- اللذة في مذهب بنتام:

يقوم هذا المذهب على أساس أن الفعل الخير هو الذي يحقق – أو يحتمل أن يحقق – أكبر مقدار من اللذة أو السعادة لأكبر عدد من الناس، هذا هو مبدأ المنفعة، وهذه هي غاية الحياة الخلقية التي ينبغي أن يطمح إلى تحقيقها الأفراد والجماعات الإنسانية معا، ومن ثم تكن أخلاقية الأفعال الإنسانية مرهونة بما يترتب عليها من منافع تحقق السعادة للناس، وتصبح اللذة هي الخير الوحيد كما يصبح الألم هو الشر الوحيد في حياة الإنسان، ويتحول علم الأخلاق إلى علم حساب لتقدير ما ينجم عن الأفعال من لذات وآلام (الطويل 1985 ص98–99).

وتعتبر اللذة أساسا عند بنتام فقد رأى أن الطبيعة قد وضعت الإنسان تحت سيطرت سيدين شديدين هما اللذة والألم ، إليهما وحدهما مرجع ما ينبغي أن يأتيه من أفعال ، وبهما يتحدد ما سيقدم عليه من تصرفات ، فهما مستوى الصواب والخطأ، وبعرشهما ترتبط سلسلة العلة والمعلول ، يتحكمان في كل ما تقوم به من أفعال ، وما يطوف بخواطرنا من أفكار ، وكل جهد نبذله للتحرر من سيادتهما لا ينتهي بغير إثبات هذه السيادة وتوكيدها ، وصفوة القول أن الإنسان قد يدعي القدوة على رفض سيادتهما ، ولكنه يبقى في الواقع عبدا لهما في كل حال ؛ إن مبدأ المنفعة يعترف بهذه السيادة ويفترضها أساسا لهذا المذهب الذي يهدف إلى تحقيق السعادة عن طريق العقل والقانون (الطويل 1953 ص99)

وفي ضوء هذا كله اعتقد بنتام أن علم الأخلاق لا يهدف إلى خلق أولياء وقديسين، وإنما يرمي إلى توجيه النشاط الإنساني إلى إسعاد الفرد والمجتمع الذي يتألف عنده من أفراد، وبحساب اللذات يمكن تقسيم نشاط الإنسان وسلوكه ومعرفة مدى نجاحه أو إخفاقه في تحقيق هذه السعادة معرفة رياضية دقيقة (الطويل 1985 ص219).

ومن أجل هذا يحذرنا بنتام من أن تتوقع من الآخرين أن يقوموا بعمل غيري لا مصلحة لهم فيه: يقول بنتام في كتابه مدخل إلى مبادئ علم الأخلاق (لا تحلم قط بأن الناس سيحركون خنصر أصابعهم لخدمتك إلا إذا كانت منفعتهم بتصرفهم هذا واضحة أمامهم، إنهم لم يفعلوا ذلك قط ولن يقدموا على فعله في مقبل أيامهم

طالما كانت طبيعتهم البشرية مصوغة من مادتها الراهنة، ولكنهم يقبلون على خدمتك مختارين متى كان في ذلك تحقيق لخدمة أنفسهم، وما أكثر الفرص التي يمكن فيها أن يخدموا أنفسهم من خلال خدمتهم لك) (الطويل 1953 ص100).

وهذا ما يعني أن بنتام لا يقر بمبدأ الغيرية ولا تضحية الفرد من أجل الآخرين إلا متى كان في ذلك الفعل مصلحة أكبر لصالحه هو نفسه.

وقد عرف بنتام المنفعة بأنها: خاصية الشيء التي تجعله ينتج فائدة، أو لذة، أو خيرا، أو سعادة وكلها هاهنا بمعنى واحد، أو والمعنى واحد، خاصية الشيء التي تجعله يحمي السعادة من الشقاء أو الألم أو الشر أو البؤس بالنسبة إلى الشخص الذي تتعلق به المنفعة (بدوي 1976 ص248).

يعرف بنتام بأنه البديهية الأساسية الفلسفية المتحورة حول المبدأ الذي ينص على أن السعادة المطلقة الأكبر عدد من الأشخاص هي مقياس الصواب والخطأ أصبح بنتام واضح ومن هنا رأى الباحث أهمية دراسة هذا الجانب عند بنتام ليبين من خلال فلسفته مواطن القصور والضعف التي تجعل بناء النفعيين متهاويا وقد اتيحت في هذه الدراسة لكي نتجنب الجدل والخلافات فعليك بأن تتجنب نقد الآخر وتبتعد عنه كل البعد ولكن قد تصادفك احياناً بكون الاخر هو من بنتقدك ويعلن عليك الحرب.

ومؤدى مبدأ المنفعة أن الفعل الخير هو الذي يحقق – أو يتوقع صاحبه من ورائه – أكبر قدر من السعادة أي المنفعة أو اللذة لأكبر عدد من الناس ، بهذا وبما أسلفناه عنه تأكدت النزعة التجريبية في مذهبه ، وأصبحت الأخلاقية مرهونة بنتائج الأفعال وآثارها ، فإذا كان الحدسيون يعلقون خيرية الأفعال على بواعثها دون نتائجها ، فإن التجريبيين من أمثال بنتام يستخفون ببواعث الأفعال ويربطون بين الخيرية ونتائجها ، بهذا رفض النفعيون ما أكده خصومهم من أن الخير يحمل في باطنه جزاءه ، وينطوي في طبيعته على مبررات فعله، وجاهر بنتام بأن الأخلاقية تفتقر إلى جزاء يغري بالتزامها ، وصنف الجزاءات إلى أربع : بدني جسماني ، وسياسي أو قانوني ، واجتماعي أو عرفي ، وديني إلهي ، فمن أوقع بالآخرين الأذى نال جزاءه من متاعب الجسم وعقاب القانون وسخط المجتمع وعذاب الجحيم، وعلى عكسه يكون جزاء من يعمل على تحقيق الخير لنفسه وللآخرين (الطويل 1985ص220).

ومن ثم يتنكر بنتام والنفعيون معه لتلك العبارات الخلقية التي اخترعها فلاسفة الأخلاق يقول بنتام : إن نغمة حديثة هي نغمة معلم الأحداث أو الحاكم ، فهو قوي وحكيم وعارف وفاضل ، أما قراؤه فهم ضعاف وحمقى وجهلة وأراذل ، وصوته هو صوت القوي يستمد قوته من سمو حكمة وطلسم الجبروت والكسل والجهل قائم في

كلمة واحدة ، كلمة خداعة ذات سيادة ، من الضروري أن نكشف عنها القناع في هذه الصفحات ، إنها كلمة ينبغي أو لا ينبغي وفقا لظروف قولها ، عندما نقول ينبغي أن نفعل كذا أو ينبغي ألا نقدم على فعل كذا ، ألا تكون قد فصلت كل مسألة في الأخلاق فصلا حاسما ؟ إذا كان استخدام هذا اللفظ مسلما به من كل وجه، لكان ينبغي أن تختفي كلمة ينبغي من قاموس الأخلاق) (الطويل 1953 ص102-103).

ومن ثم يمكن القول إن مبدأ السلوك في نظرية بنتام لا يعتمد على قواعد أخلاقية مطلقة، أو ما يمكن تسميته بالواجب الأخلاقي، فجوهر نظريته يرتكز على أن الإنسان يسعى إلى تحصيل أكبر قدر من المنفعة. ولذلك فإن مدار الأمر كله حول المنفعة أو اللذة؛ فهي جماع الدوافع التي تحمل الإنسان على إتيان أفعاله أو الإحجام عنها، ولا يستطيع الإنسان بالغا ما بلغ جهده أن يتحرر من سيطرة اللذة والألم، أو المنفعة والضرر، ومن الضلال أن ترد أفعال الإنسان أو بعضها إلى ما سماه البعض بالغيرية أو الإيثار فليست الغيرية إلا أنانية مقنعة متنكرة! والتجربة تشهد بأن الإنسان لا يقدم على فعل فيه خير للآخرين إلا متى ناله من وراء هذا الفعل نفع! ولكن الإنسان لا يجرؤ على الاعتراف بعبوديته لمبدأ اللذة والمنفعة، وإنه يستحي أن يوصف بالأنانية أو يتهم بالنفعية (الطويل 1985 ص 220)

ومن ثم هاجم بنتام المصطلحات الأخلاقية التي يراها تنفر الناس من الاعتراف بسيطرة اللذة والألم عليهم وأثرهما في تشكيل السلوك الإنساني ، فيحمل على لفظ الإلزام ، الذي يفيد تقييد من سلطة المتكلم المتعجرف نبتت هذه الكلمة وتجمعت حولها سحابة من ظلمة الغموض والإبهام يقول (وفي الحق إن من العبث أن نتحدث عن الواجبات ، إن اللفظ نفسه يحمل معنى كريها منفرا ، وبالغا ما بلغ حديثنا عنه فلن يصبح قاعدة السلوك ، إن الإنسان أو الفيلسوف الأخلاقي يستكين إلى مقعد مريح يطمئن إليه ، ثم يأخذ في نثر آراء قاطعة جازمة في كبرياء حول الواجب والواجبات ، فلماذا لا يعمل بما يقول ؟ لأن كل إنسان يفكر في مصالحه، إنه شطر من صميم طبيعته أن يفكر في مصالحه، والأخلاق متى أوتي الرشاد وجد من مصلحته أن يبدأ برعاية مصالحه) (الطويل 1953 ص103).

وهذا ما يعني أن بنتام يرى أن مثل هذه المصطلحات الأخلاقية إنما هي خيالية أكثر منها واقعية، ومن ثم انتقد تلك المثالية التي نصبت من نفسها حاكما مستبدا على سلوك الفرد الذي يسعى بطبيعته إلى تحقيق منفعته.

وبذلك رفض بنتام هذه المثالية وارتد إلى الواقع وربط الأخلاق به، واعتقد أن مرجع سلوكنا إلى وجدان اللذة والألم كما قلنا من قبل، وأراد أن يخضع اللذات والآلام للقياس الدقيق، حتى تصبح الأخلاق علما واقعيا وضعيا،

اقتداء بعلماء الطبيعة الذين أخضعوا الظواهر الطبيعية في كل صورها لمقاييسهم، من أجل هذا وضع بنتام علم حساب اللذات وضمنه صبغة مقاييس تقاس بها اللذة التي كانت عنده غاية السلوك الخير والباعث الوحيد على إتيانه (الطويل 1985 ص221).

ب- علم حساب اللذات:

أراد بنتام أن تتوافر في علم الأخلاق الشروط التي لا يستقيم بدونها العلم بوجه عام، وأظهر شروط الموضوعات التي يتناولها البحث العلمي خضوعها للقياس، وإذا كانت اللذة عنده غاية الحياة الخلقية والباعث الوحيد على إتيان الأفعال الخيرة فكيف تخضعها للبحث العلمي؟ أي كيف نخضعها للقياس، وأي المقاييس يلائم طبيعتها؟ لا يكفي أن تكون الأخلاق بحثا يهدف إلى الإكثار من اللذة والإقلال من الألم في حياة الإنسان ما أمكن ذلك، وهل يكتفى علماء الطبيعة بأن يقولوا: (إن ظواهر الطبيعة منظمة مضطردة الوقوع ومن الخطأ أن يقال إن الإحساسات لا تخضع للقياس، فإن بنتام لا يهتم بكثيف اللذات والآلام، ولا يعنيه كل ما يجري في الضمير، إنما يشبه الفعل الذي تبدو فيه العلاقات التي يصبغ بها الناس أفعالهم) (الطويل 1953 ص105).

وبذلك اهتم بنتام بوضع علم حساب اللذات الذي أصبح معيارا للمفاضلة بين الأفعال الإنسانية والتفرقة بين خيرتها وشريتها ولكن اللذات منها المتجانس ومنها المتنافر ولكل منهما مقاييسه، فأما اللذات والآلام المتجانسة فهي التي يمكن أن يقارن بعضها ببعض لأنها من طبيعة واحدة، وقد وضع بنتام بقياس هذا الصنف من اللذات سبعة مستويات صنفها بعض مؤرخيها التاريخ مجموعات هي:

1- الشدة والديمومة.
2- التيقن من تحقق اللذة ومدى احتمال تحققها فالفعل الذي يحقق الآن لذة يفضل فعلا آخر يحققها فيما بعد.
3- الخصوبة أي ما يحتمل أن يتولد عنها من لذات، ثم الصفاء، أي تجردها من الألم
4- الشمول (أو السعة) ويراد به مدى امتدادها إلى عدد الذين يتمتعون بها، ولفكرة الشمول عنده خطرها الملحوظ في تكييف مذهبه (الطويل 1953 ص106).

ومن اللذات ما كان متنافرا غير متجانس إذ ليس من اليسير أن نقارن بين لذة القراءة ولذة الحب ولذة الرياضة وغير هذا من لذات لا يسهل تصنيفها إلا على نحو ما يصنف علماء النبات صنوف النباتات فكذلك ينبغي أن يكون حال فلاسفة الأخلاق مع اللذات المتنافرة التي لا يكون بينها تجانس، وأصدق مقياس لقياسها هو المال،

تقدر كل لذة بمبلغ تساويه، ونقارن بين أثمانها فتسهل المفاضلة بينها ومن هنا أنشأ بنتام حسابا ماليا للأخلاق (الطويل 1953 ص107).

كما رأى بنتام أن اللذات تختلف من نواح لذات أقوى أثرا من سواها، وطبيعي لما كانت هي الأفضل فإنها لا يجدر بأن تطلب، كما أن الآلام الأشد جديرة بأن يبتعد عنها بعناية أكثر من سواها، ويوجد أيضا لذات وآلام أطول أجلا ، وأقر حدوثا ، وأكثر وقوعا من سواها. ومن الطبيعي أن عدة، حيث يوجد أولا من اللذات تكون اللذات الأفضل هي الأطول والأقرب، والآكد. أما الآلام فتكون أقل رهبة إذا كان ذلك كله فيها على أقل درجة (ذكري 1977 ص222).

وإذا ما تأملنا الأعمال التي تنتج لذائذ وآلاما في أبعد نتائجها نجد أن هناك بعض لذات غير صافية: تلك التي تثير ردحا من الزمن آلاما أكثر أو أقل حدة وهناك بعض آلام غنية بالفوائد تلك التي تكون نتائجها البعيدة طيبة الثمرات، مثلا: السكر لذة غير صافية، العمل ألم غني بالفوائد، كما أن العنصر الأخير في التقدير هو الامتداد في اللذائذ والآلام، إن رقة الشعور تربطنا بأمثالنا كما رأى ذلك آدم سميث، أننا نتألم لرؤية من يتألم، ونسر برؤية من يسر. وإذن، فإن بعض أعمالنا تثمر لنا وحدنا اللذة، أو الألم، وبعضها يكون سببا في إيجاد تلك الحالات لنا، أو لجماعات سواء كبيرة كانت أم صغيرة، فكيف نهمل مثل تلك الظاهرة في حسابنا؟ في رقة الشعور تزيد في لذاتنا وفي آلامنا (ذكري 1977 ص223)

ج- حساب اللذات هو المبدأ العام للأخلاقية:

إن حساب اللذات يجب أن يدخل فيه كل هذه المسلمات، فإذا هو فعل، فإنه سيستخلص حقيقة أخلاقية يعتبرها بنتام قطعية: (أن التبصر يؤدي إلى الرعاية)، وبعبارات أخرى، نقول إن الحساب الدقيق لمنفعة المرء الخاصة، يبرر في كل العامة، لكي يعيش المرء سعيدا فليس له ألا وسيلة واحدة: إن يكمل المرء كل عمل منقوص، وأن يؤيد كل عمل خاص أو عام بحيث تكون نتيجته وغايته تحقيق (أعظم قدر من اللذات لأكبر عدد من الناس). (ذكري 1977 ص223).

ح- مشكلة التوفيق بين صالح الفرد وصالح المجموع:

سلب بنتام علم الأخلاق طابعه المعياري الحقيقي يوم ألغى كلمة (ينبغي) من مفردات الأخلاق، ثم أقام مذهبه الأخلاقي في مطالبة الإنسان بأن يعمل على تحقيق منفعة المجموع على أساس من مذهب اللذة السيكولوجي، الذي يقرر أن الإنسان ينشد بطبيعة لذته في كل تصرف يأتيه، فكيف أمكن التوفيق بين صالح الفرد وصالح

المجموع .... وقد رد بنتام الجزاءات إلى التدبير العقلي وجعل للبواعث العقلية السيادة في مذهبه ، وتمشيا مع هذا الاتجاه رأى – عند البحث في بواعث الفعل الغيري – ألا يقنع بردها إلى الأريحية أو الرغبة في صنع الجميل للآخرين ، بل يرجعها كذلك إلى الرغبة في إحراز السمعة الطيبة وكسب الأصدقاء وامتثال لأوامر الدين ، ويعرض لتعليل إيثارنا للصالح العام على مصلحتنا الشخصية، فيقول : بأن الأنانية في الأصل هي الباعث الوحيد الذي يغري الإنسان بالإقدام على أفعاله أو الإحجام عن إتيانها ، ولكن التروي والتبصر قد علمه أن مصلحته تقتضي أن يظهر أمام الناس بمظهر الذي يحفل بمصلحته الشخصية ولا يقيم لها وزنا ، ولكن مجرد التظاهر قد ينكشف للناس فيبدو صاحبه وكأنه محتال ! من هنا خطر له أن مصلحته أن يكون بالفعل غيريا في تصرفاته، فيتمسك بالخلق الذي كان في أول الأمر يتظاهر به وبهذا الاستدلال توصل بنتام إلى نتيجته التي فسر بها معنى الغيرية، وقرر فيها أن المصلحة الذاتية تتطلب من صاحبها أن ينشد تحقيق مصلحة المجموع في غير أثرة، وأن هذا هو خير طريق يسلكه إلى تحقيق مصلحته الشخصية (الطويل 1953 ص108).

ويبدو نزوع بنتام إلى العمل لصالح المجموع في وضعه الشمول في حسابه الأخلاقي بين الموازين التي تمكن من اختيار الفعل الخير، فهو يقرر أن شعور الإنسان باللذة يزداد حين تتجاوزه إلى غيره من الناس. وبهذا الشمول أدخل (بنتام) الغيرية في تعريف الأنانية؟ وجعل مذهبه يوجب إتيان الأفعال التي تشبع ميول مجموعة من الناس.. ومتى استبعدنا عواطف الغيرة والتنافس وغيره من نفوس الناس استعدادا يدفعهم للتعاطف، نمت سعادة الإنسان عند شعوره بأن الناس يشاركونه لذته، معنى هذا أن في ... وبمقتضى هذا التعاطف أن يعمل الإنسان على محو آلام غيره وكأنها آلامه؛ وهكذا افترض بنتام أن الإنسان اجتماعي بطبيعته، ينطوي على حب وإنسانية، وهذا هو الذي يفسر لنا ضيق الإنسان بالوحدة أو العزلة، وميله إلى تحقيق الصالح العام ونحو هذا من ظواهر (الطويل 1953 ص110–111)

خ- أساس الأخلاقية في مذهب (بنتام):

تتمثل النزعة التجريبية في تصور بنتام الأخلاقية الفعل في فهم الأخلاقية، إذ استخف بالبواعث بمقدار اهتمامه بالنتائج والآثار، فهو يري أن الباعث هو الرغبة في إشباع اللذة أو تحاشى الألم، أما المقصد عنده فيراد به النتائج التي يتوقع الإنسان أن تنشأ عن إتيان الفعل. ثم يعقب بنتام فيقرر بأن الباعث في ذاته لا يكون خيرا ولا شرا ، لأن الباعث الواحد قد يفضي إلى نتائج طيبة وقد ينتهي بنتائج سيئة ، إن الفيلسوف الأخلاقي كالمشرع من حيث اهتمامه بخيرية النتائج وشريتها ؛ لا تضاف الخيرية ولا الشرية للبواعث في ذاتها ، وإن كانت توحي بنوع النتائج المتوقعة ، وإذا كان العقليون يرون أن النية هي التي تحدد خيرية الفعل أو شريته ،

ولا عبرة بعد هذا بنتائجه وآثاره ، فإن بنتام والنفسيين من ورائه – يقيمون أخلاقية الفعل على ما يترتب عليه من لذة أو ألم ، من منفعة أو ضرر ؛ أما البواعث فإنها لا تغير من طبيعة الأفعال كثيرا ولا قليلا . وقد أقر بنتام أن الخيرية أو الشرية محتاجة إلى جزاء. إن الجزاء الطيب يغري بالفعل الفاضل، والجزاء السيئ يدفع عن ارتكاب الشر؛ ورد بنتام هذه الجزاءات إلى أربع: جزاءات بدنية وسياسية وقانونية واجتماعية عرفية ودينية، فمرتكب الشر – الذي يسبب للآخرين الأذى ينال جزاءه من متاعب الجسم أو آلام النفس، ويحيق به عقاب القانون واحتقار المجتمع وعذاب جهنم، وعلى عكسه يكون حظ الخير الذي يحقق لنفسه وللآخرين نفعا. (الطويل 1953 ص113–114).

وبهذا الموقف التجريبي لبنتام تحققت النزعة الواقعية في الأخلاق، وأصبحت الأخلاق لا تهدف إلى خلق أولياء وقديسين، بل ترمي إلى توجيه النشاط الإنساني إلى إسعاد المجتمع على قدر الإمكان ما حساب اللذات إلا محاولة لتقدير جهود يمتاز بالدقة والضبط الإنسان، وتقويم مدى نجاحها في تحقيق اللذات أو تفادي الآلام، تقويما رياضيا (الطويل 1953 ص116)

بالنسبة لكانط فإن الميتافيزيقا ممكنة الأسباب عملية وينتقد هيكل الحدس الفكري فيما يتعلق بمصدر الادراك الميتافيزيقي فإن مفهومه ذاك يعني أنه لا يمكن أن يكون تجريبيا لا ينبغي ابداً أن تستمد مبادئه بل ميتافيزيقية أي معرفة تكمن وارد التجربة.

ومن هنا يمكن القول بأن المذهب النفعي في الأخلاق عند بنتام إنما يقوم على فكرة ما يحققه الفعل من منفعة لصاحبه حتى ولو امتدت إفادة هذا الفعل إلى غيره من الناس ، إذ قد يكون من منفعة الفرد ومن مصلحته أن يكون مفيدا للآخرين أيضا ، ومجمل القول في مذهب بنتام هو أن القيم الخلقية إنما تتحدد بما تحققه الأفعال من منافع لمن يأتيها يمكننا التمييز بين ست مراحل مرت بها الفلسفة الأخلاقية عند الغرب وكان لكل مرحلة منها سياقها وخصائصها وتأثيرها في المراحل اللاحقة بها وهي مرحلة الفلسفة اليونانية مرحلة العصور الوسطى، مرحلة عصر النهضة، الاخلاق في قضاء الاغريق وظلمات العصور الوسطى ما وراء الطبيعة أو الماورائيات أو الميتافيزيقا هو فرع من الفلسفة يدرس جوهر الأشياء ، يشمل ذلك أسئلة الوجود والضرورة والكينونة.

عقله من تيار التفكير الألماني. من هنا التقت الوضعية الفرنسية وتجريبية الجزيرة البريطانية في فلسفة (مل) ، وكانت مقاومته العارمة لكل فلسفة لا تقوم على التجربة ، أولا يمكن التثبت من صحتها بالتجربة ، فناهض الأفكار الفطرية والحقائق الأولية واليقين الحدسي في المعرفة وفي الأخلاق وفي كل مجال من مجالات التفكير، وقد توج جهوده في هذا الصدد بمحاربة مذاهب الفطرة في كل صورها ممثلة في فلسفة (هاملتون) ، وبكتابه

(مراجعة فلسفة هاملتون) انتهى النزاع بين حدسية المدرسة الإسكتلندية وتجريبية القرن التاسع عشر ، بانتصار الثانية انتصارا حاسما ، واختفاء الأولى من الميدان. (الطويل 1953 ص62)

المراجع :

1) أندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة عبد الحليم محمود، أبو بكر ذكرى، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1977.
2) توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق، نشأتها وتطورها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط4، القاهرة، 1985.
3) توفيق الطويل: مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953.
4) عبد الرحمن بدوي: الأخلاق النظرية، وكالة المطبوعات، ط2، الكويت، 1976.
5) محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الاخلاق، دار القلم، الكويت،1973.